— انني ابلغك اعلان الاضراب باسم السجناء الى أن يتم تعيين لجنة طبية محايدة للتحقيق في ظروف استشهاد عبد القادر أبو الفحم .

— عبدالقادر توفي نتيجة لجراحه .

— نحن نتهمكم بقتل عبدالقادر وسنظل مضربين حتى تلقي تقرير اللجنة الطبية .

— اذا أضربتم فسأقطع الزيارة عن كل مضرب مدة ستة أشهر .

— ٦ × ٩ = ٥٤ ليرة سيشتري بها أهلي كيس طحين يأكله اخوتي .

كان هذا في سجن بئر السبع حوالي منتصف شهر تموز ١٩٧٠ .

* * *

[٣]

سجن بيت ليد — آذار ١٩٦٩ . غرفة الزيارة حيث يتوسط الغرفة حاجز منخفض من الاسمنت يرتفع من وسطه شريط من الاسلاك يصل الى السقف ويفصل الزوار عن السجناء . في الجهة المقابلة كانت تقف امرأة تبحث عيناها عن ابنها . ودخل ابنها . لم يكن ابنها يتجاوز الستة عشر عاما . اعتقل من مدرسة دير البلح حيث كان ملتحقا في الصف الاول الثانوي . لم يفعل شيئا بعد : انتماء الى تنظيم مسلح — حيازة اسلحة — التدريب على استعمال السلاح . وهنا جرى اعتقاله مع مجموعة من الطلبة . كيف حصلوا على السلاح ؟ ذهب رفاقه الى سيناء وأحضروا ما وجدوه من مخلفات الجيش المصري .

— كيف حالك يا كامل

— الحمد لله يما

— الحمد لله يما اللي شفتك راجل وتخوف الحكومة . لم تكن المرأة تبكي ، ولم تكن « تبهدله » لانه زج نفسه في هذه الاعمال التي يجب أن تترك للكبار . كانت المرأة مسرورة لانها اكتشفت أن ابنها أصبح « راجل » وأصبح « يخوف » الحكومة . حسب تفكيرها اذا لم تكن الحكومة تخاف من ابنها فلماذا تحكم عليه بالسجن خمس سنوات . المرأة الديراوية البسيطة الساذجة تمتلىء اعتزازا لان ابنها يخوف حكومة اسرائيل ذات الجبروت .

* * *

[٤]

من خارج السجن تأتي الاخبار . شكاوى الى لجنة حقوق الانسان . تعذيب المعتقلين . هدم أعداد كبيرة من البيوت . فرض عقوبات جماعية ... الخ وفي الخارج تتحرك الهيئات لتنتزع القرارات من هيئة الامم المتحدة . الضمير العالمي يستيقظ . الضمير العالمي عاد فنام . لجنة العفو الدولية نشرت تقريرها . اللجنة ادانت سلطات الاحتلال الغاشمة . اصحاب المشاعر الحساسة والرقيقة يدينون تعسف السلطات المحتلة . هناك طرفان يستطيعان أن « يتفهما » مسلك سلطات الاحتلال : الامبريالية الاميركية والسجناء أنفسهم . الامبريالية الاميركية تعتبر انتصارات اسرائيل انتصارات لها وهزائم اسرائيل نذيرا بتصفية وجودها الامبريالي في المنطقة كلها . أما السجين فلا يسأل نفسه : لماذا هدموا بيتي ؟ لماذا يعذبونني ؟ لماذا يضطهدونني ؟ السجين هو اقدر انسان على وضع نفسه مكان العدو وادراك آلية تفكير عدوه . هذه الاسئلة يتركها السجين للناس الذين لا يعرفون شيئا عن القضية . أما هو فيأخذ في تعذيب نفسه أثناء نزول الهراوات واللكمات على رأسه : « لماذا بت تلك الليلة في البيت ؟ لماذا تركت كل